المحاضرة الرابعة: علاقة الاستشراق بالاستعمار:

يذكر الباحث بهاء الدين أن الاستعمار ورجال الكنيسة كانوا يشجعون المستشرقين ويدفعونهم لدراسة الحديث والفقه موفرين لهم كل المساعدات المادية والمعنوية، وقد وصلت أبحاث كل من شاخت وجولد تسيهر حد التقديس بحيث يرفض كل نقد لابحاثهم فحدث أن تقدم طالب لإنجاز رسالة دكتوراء تنتقد شاخت في جامعة لندن ثم جامعة كامبردج فرفض طلبه في كلتا الجامعتين، وردت عليه جامعة كامبردج بأنها لا تسمح بنقد شاخت .

المستشرقون خدموا الاستعمار فسلفستر دي ساسي قام بترجمة الإعلان العام الموجه للجزائريين عند احتلال الجزائر، كما قام بالتجسس على المسلمين في الشرق خدمة للاستعمار، وعندما إنشات فرنسا قبيل احتلال الجزائر هيئة المترجمين والمرشدين العسكريين كان من أهم أعضاءها العديد من المستشرقين منهم سيلفاستر دي ساسي، والمستشرق كارل هنريش بيكر kheinrich becker مؤسس مجلة الاسلام الألمانية كان يقوم بدراسات تخدم الاهداف الاستعمارية الالمانية في إفريقيا، أما باتورد berthold مؤسس مجلة الاسلام الروسية فقد كلفته الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالحها في آسيا الوسطى، وعالم الاسلاميات اليهودي "سنوك هورنجرنيه" تولى مناصب في إندونيسيا خدمة للاحتلال، لقد أصبح الاستشراق في ذلك الوقت بالفعل مرادفا للهيمنةِ على الشرقِ، فالباحث " لامارتين" كان يبرر الاحتلال الأوروبي للشرقِ خلال رحلاته إلى فلسطين.

عمل الاستعمار على الاستفادة من التراث الاستشراقي مما عزز موقف الاستعمار، فقد واكب تطور الاستشراق التوسع الاستعماري، الذي جند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في البلاد المستعمرة فلقد عمل بعض المستشرقين كمستشاري لوزارات خارجية دولهم وكقناصل وتجسسوا على المسلمين.

وكانت هناك علاقة متينة بين السياسيين والمستشرقين حيث كان السياسيون يرجعون إليهم قبل اتخاذ القرارات المهمة في الشؤون السياسية التي تخص الأمم العربية والإسلامية ، وكان بعض المستشرقين يؤسس لصداقة بالرجال البارزين في الامة العربية ويتخذ من هذه الصلات ستارا يقوم من وراءه بأعمال التجسس في أثناء الحرب، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني المعاصر"استيفان فيلد Stephan Wild": " توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة.

والكثير من الباحثون يجزمون أن الظاهرة **الا**ستشراقية كانت تمثل الجذور الايديولوجية للاستعمار الحديث بكل دوافعه النفسية كالسيطرة الاستعلائية والرغبة التنصيرية والمصالح الاقتصادية وغيرها، الواضح هنا هو تبادل الادوار بين الاستعمار والاستشراق فهذا المستشرق اليهودي الهولندي الاصل سنوك هرجرونيه يتحدث على ضرورة الاستشراق للاستعمار وضرورة الاستعمار للإستشراق فيقول: «... وكلما زاد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لنتعرف على الحياة الفكرية وعلى الشريعة وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية ...» .

ومن بين اشهر المستشرقين الذين خدموا الاستعمار في الآونة الاخيرة برنارد لويس الذي وفر الكثير من المعونة لإدارة بوش في قضايا الشرق الاوسط والحرب على الارهاب حتى انه يعتبر بحق منظرا لسياسة التدخل والهيمنة الامريكية في المنطقة، وقد عمل مستشارا لوزير الدفاع الامريكي لشئون الشرق الاوسط حيث شارك في وضع استراتيجية الغزو الامريكي للعراق، كما ابتدع مصطلح " صراع الحضارات " و" الارهاب الاسلامي"، وقد وصف العرب والمسلمين بانهم: " قوم فاسدون مفسدون فوضويون وانهم يشكلون خطرا على الحضارة الغربية، ودعى الى

اعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية "، كما دعا للاستفادة من التجربة البريطانية والفرنسية، واشار بضرورة تقسيم البلاد الاسلامية الى عدة اجزاء، وتقسيم كل دولة الى عدة اقسام ببعث النعرات الطائفية بينهم.